سلسلة السيرة النبوية

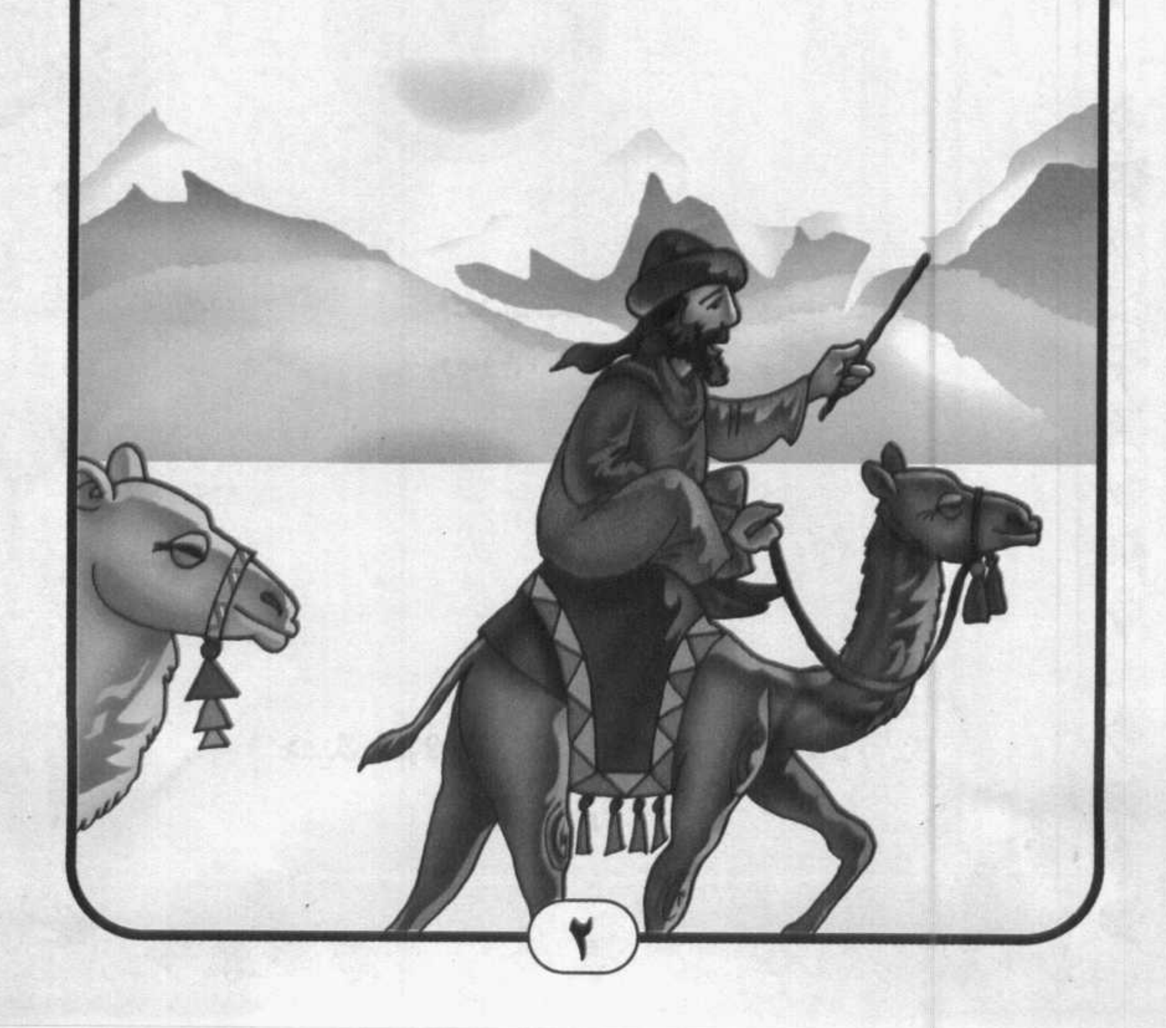


الرسول مع الأعراب

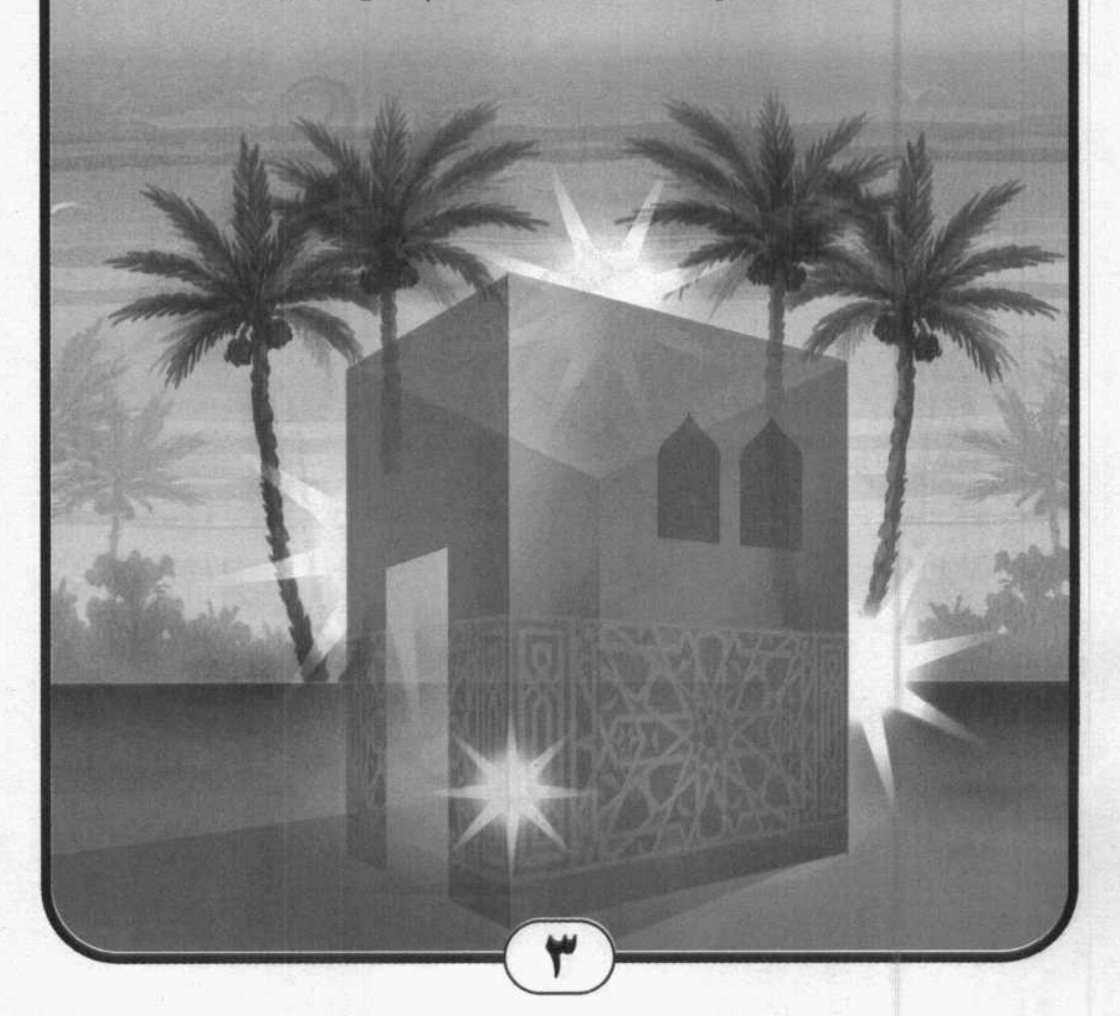
إعداد: مسعود صبري
رسوم: عطية الزهيري

رقم الإيداع ١٩٥٠٧/٢٠٠٥

كان للنبي ﷺ ناقة تُسمى العضْباء، وكانت هذه الناقة لا تسبقها ناقة أخرى، فجاء رجل من الأعراب على ناقة له، فسبقت ناقة النبي ﷺ، فحزن المسلمون حزنًا شديدًا، وقالوا: سبقت ناقة الأعرابي، العضْباء ناقة الرسول ﷺ! فأراد رسول الله ﷺ أن يعلمهم، أن كل شيء يرتفع في الدنيا، فإنه لن يبقى مرتفعًا دائمًا، فقال: "إن حقًا على الله، ألا يرفع شيئًا من الدنيا، إلا وضعه".



كان النبي ﷺ يصف الجنة للصحابة، وهم في ذهول وتعجب من وصف النبي ﷺ لها، وبينما هو يصف لهم، إذ قال في وصفها: "إن في الجنة لغرفا، يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها". فازداد تعجب الصحابة، ولم ينطق أحد بشيء، وفي أثناء ذلك، قام أعرابي، واقترب من الرسول ﷺ، وقال: لمن هي يا رسول الله؟ فقال له النبي ﷺ: "هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام". فسعد الصحابة بسؤال الأعرابي؛ لأن الرسول ﷺ، دلّهم على طريق للجنة.



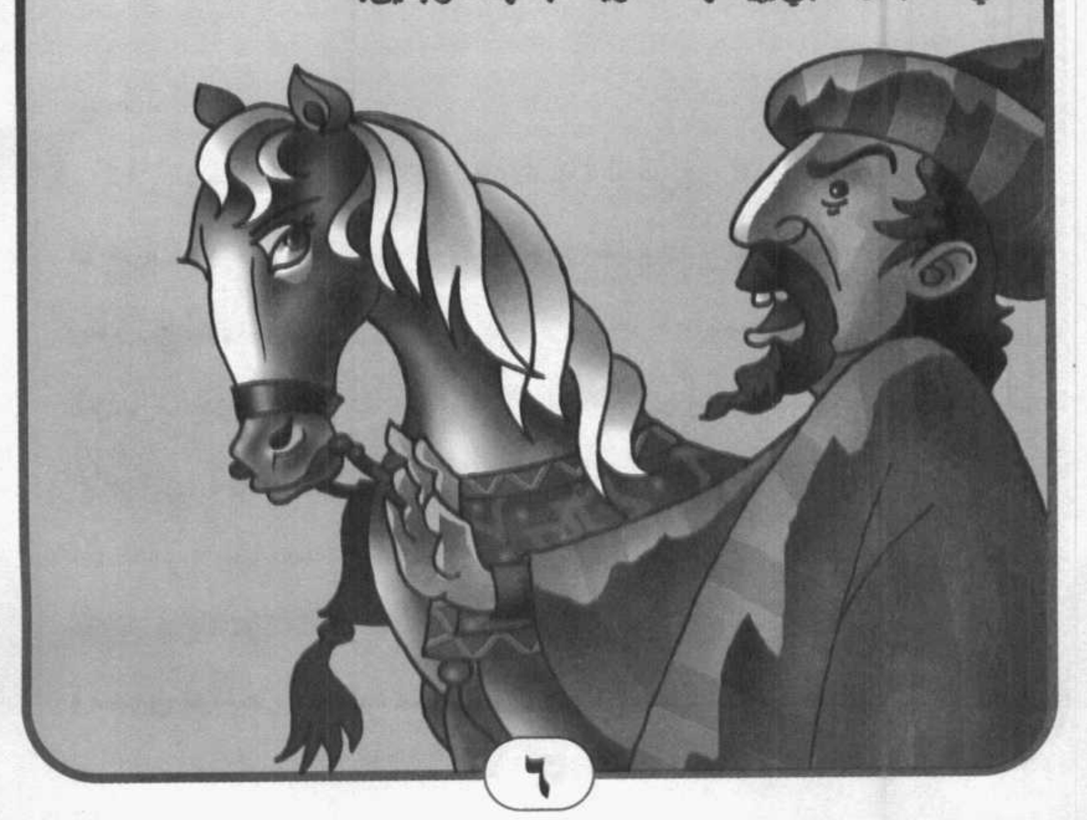
كان الصحابة في المسجد، مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأعراب، فقضى حاجته في ناحية من المسجد، فقام الصحابة، وأرادوا أن يضربوا الرجل، ولكن النبي ﷺ نهاهم، وقال لهم: "دعوه". فتركوه حتى انتهى من حاجته، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: "إن هذه المساجد، لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن". ثم أمر الصحابة أن يُطهِّروا المسجد ببعض الماء، وقال لهم: "فإنَّما بُعثتم ميسِّرين، ولم تُبعثوا معسِّرين".



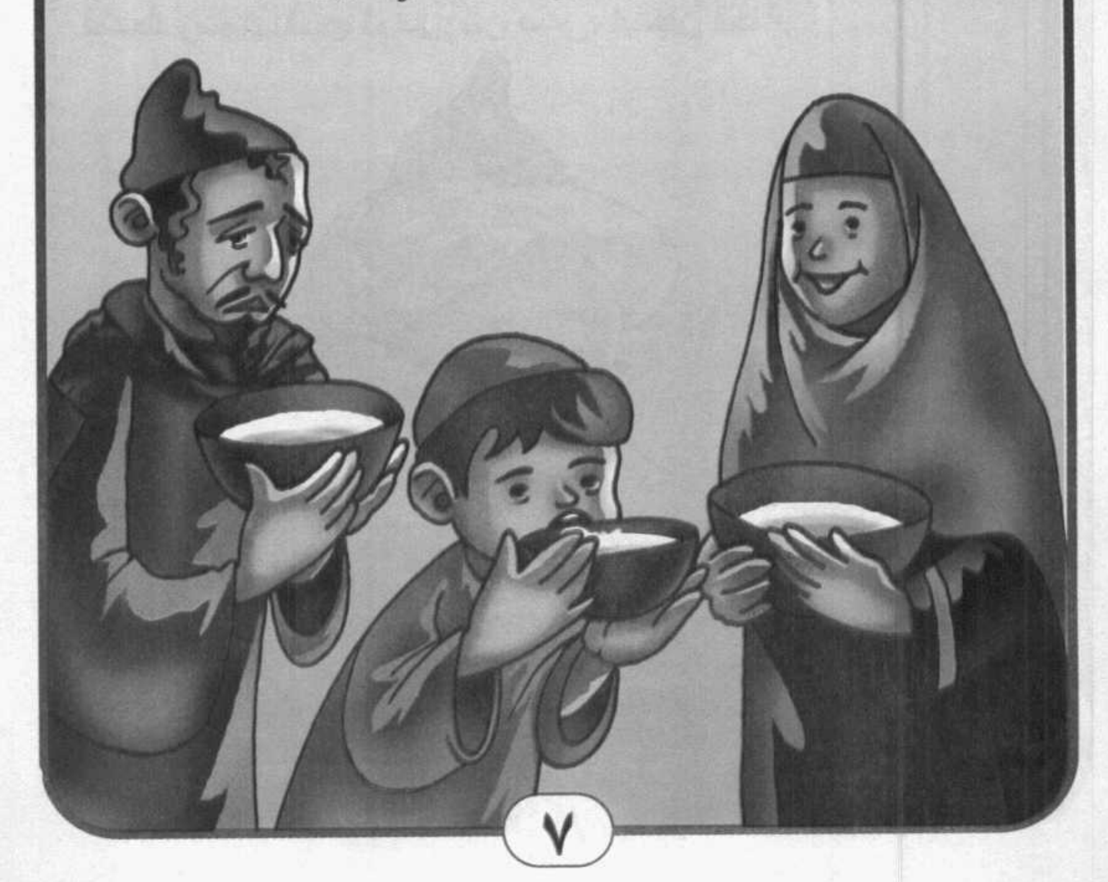


كان الصحابة يهابون توجيه الأسئلة للنبي ﷺ، فيفرحون بمجيء أحد الأعراب، ليسأل النبي ﷺ عن شيء، وذات يوم، أقبل أعرابي، وقال: يا رسول الله ﷺ، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ فسأله النبي ﷺ عن هذه الشجرة، فقال الأعرابي: إنها شجرة السدر، فإن لها شوكًا مؤذيًا، فأخبره النبي ﷺ بقول الله تعالى: [في سدر مخضود]، يعني أن الله تعالى، خضد شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت ثمرًا، يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونًا من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر.

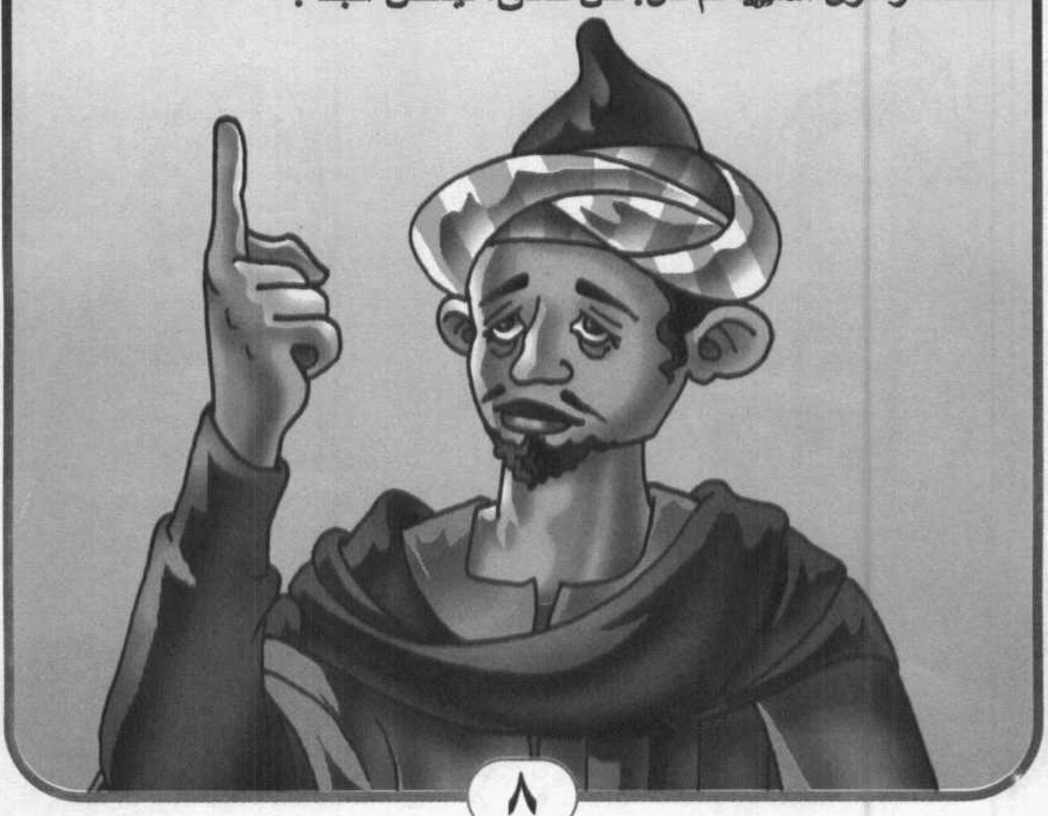
اشترى النبي ﷺ من أعرابي فرسًا، واتفق معه على الثمن، فذهب النبي ﷺ لبيته؛ ليأتي بالمال، وبينما كان الأعرابي ينتظر النبي ﷺ، إذ جاء رجال، وعرضوا على الأعرابي ثمنًا كبيرًا مقابل الفرس، وهم لا يعرفون أن النبي ﷺ اشتراه منه، فقال الأعرابي للنبي ﷺ: إني قد بعت الفرس. فقال ﷺ للأعرابي: أو ليس قد اشتريته منك؟ قال الأعرابي: لا والله، ما بعتك الفرس. فقال النبي ﷺ: "بل قد اشتريته منك"، فقال الأعرابي: هاتِ شاهدًا، يشهد أني قد بعت لك الفرس. فجاء خُزيمة بن ثابت، فاستمع لكلام الأعرابي مع النبي ﷺ، فقال خُزيمة: أنا أشهد أنك قد بعت الفرس للرسول ﷺ، فقال ﷺ لخُزيمة: بِمَ تشهد؟ فقال: يا رسول الله، إني أصدقك في كل شيء، فجعل النبي ﷺ شهادة خُزيمة بشهادة رجلين.



أتى أعرابي على النبيﷺ فقال: أخبرني بعمل يدخلني الجنـة، ويباعدني عن النار. قالﷺ: تقول العدل، وتعطي الفضل. فقال الأعرابي للرسولﷺ: لا أستطيع أن أقول العدل كل ساعة، ولا أن أعطي فضل مـالي. فقـال لـه النبي ﷺ: فـأطعم الطعـام، وأفشِ السـلام. فقـال الأعرابـي: هذا شـديد والله! فقـال النبيﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم. فأرشده النبيﷺ، أن ينظر ناقة من إبلـه، فيسقى من لبنها أسرة فقيرة، فإن بهذه الصدقة القليلـة، يحفظ الله تعالى الإبل، ويرزق صاحبه الجنة. فلمّا سمع الأعرابي ذلك فرح، وخرج يقول: الله أكبر، الله أكبر، وصنـع مـا أمـره بـه النبـيﷺ. ومـا زال الأعرابـي علـى حالـه، ينفق ما يجود به من لبن، حتى استُشهد في سبيل الله.



جاء أعرابي للنبي ﷺ، فقال: من خلقك؟ ومن خلق من قبلك؟ ومن هو خالق من بعدك؟ فقال ﷺ: الله. قال الأعرابي للنبي ﷺ: فناشدتك بذلك، أهو أرسلك؟ فقال ﷺ: نعم. قال الأعرابي: من خلق السماوات السبع، والأراضين السبع، وأجرى بينهن الرزق؟ قال ﷺ: الله. قال الأعرابي: فناشدتك بذلك، أهو أرسلك؟ قال ﷺ: نعم. قال: فإنّا قد وجدنا في كتابك، وأمرتنا رسلك، أن نصلّي بالليل والنهار، خمس صلوات لمواقيتها، فناشدتك بذلك، أهو أمرك؟ قال ﷺ: نعم. قال الأعرابي: فإنّا وجدنا في كتابك، وأمرتنا رسلك، أن نأخذ من حواشي أموالنا، فنجعله في فقرائنا، فناشدتك بذلك، أهو أمرك؟ قال ﷺ: نعم. قال: والذي بعثك بالحق، لأعملنّ بها، ومن أطاعني من قومي. فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: لئن صدق، ليدخلنّ الجنة.



رأى رجل من الأعراب في منامه شيئًا عجيبًا، فلمَّا طلع النهار، ذهب إلى النبيﷺ حتى يفسِّرَ له ما رأى في منامه. فقال الأعرابي: يا رسول الله! رأيت في المنام، كأنَّ رأسي ضُرِب، فتدحرج، فاشتددت على أثره. فقال له الرسولﷺ: "لا تُحدِّث الناس بتلعُّب الشيطان بك في منامك". فعَلِم الأعرابي، أن ما رآه هو تلاعب من الشيطان، وأن الإنسان إذا رأى في منامه شيئًا غير طيب، فلا يخبر به أحدًا من الناس، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وعاد الأعرابي إلى بيته، بعد أن علَّمه الرسولﷺ ماذا يفعل، إذا رأي شيئًا لا يسرُّه في المنام.

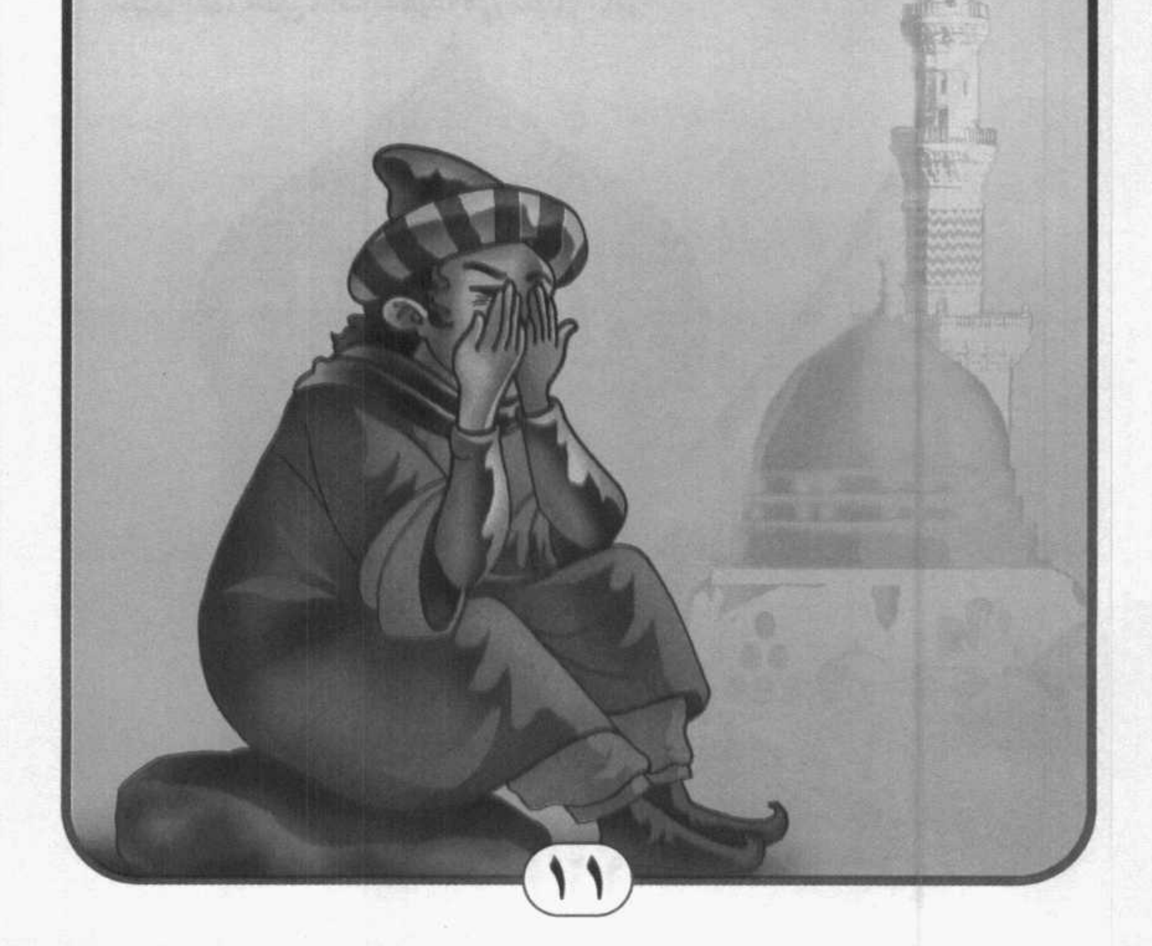


جاء أعرابي للنبي ﷺ، وقال له: ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني؟ فقال ﷺ له: "أبشر". فقال الأعرابي: أكثرت عليَّ من "أبشر". فأقبل ﷺ على أبي موسى وبلال، وهو غضبان من ردِّ الأعرابي، الذي لم يثق في وعد الرسول ﷺ فقال: "إن هذا قد ردَّ البُشرى. فاقبلا أنتما". فقالا: قبلنا بالبشرى يا رسول الله. ثم دعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء. فغسل يديه ووجهه فيه. ثم قال: "اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما، وأبشرا" فأخذ بلال وأبو موسى رضي الله عنهما القدح. ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ. فنادتهما أم سلمة من وراء ستار، قائلة لهما: اتركا لأمِّكما بعض الماء. تركا لها بعض الماء، فصنعت مثل صُنع أبو موسى وبلال، واستبشر الجميع ببشرى الرسول ﷺ بالرزق والخير قريبًا.

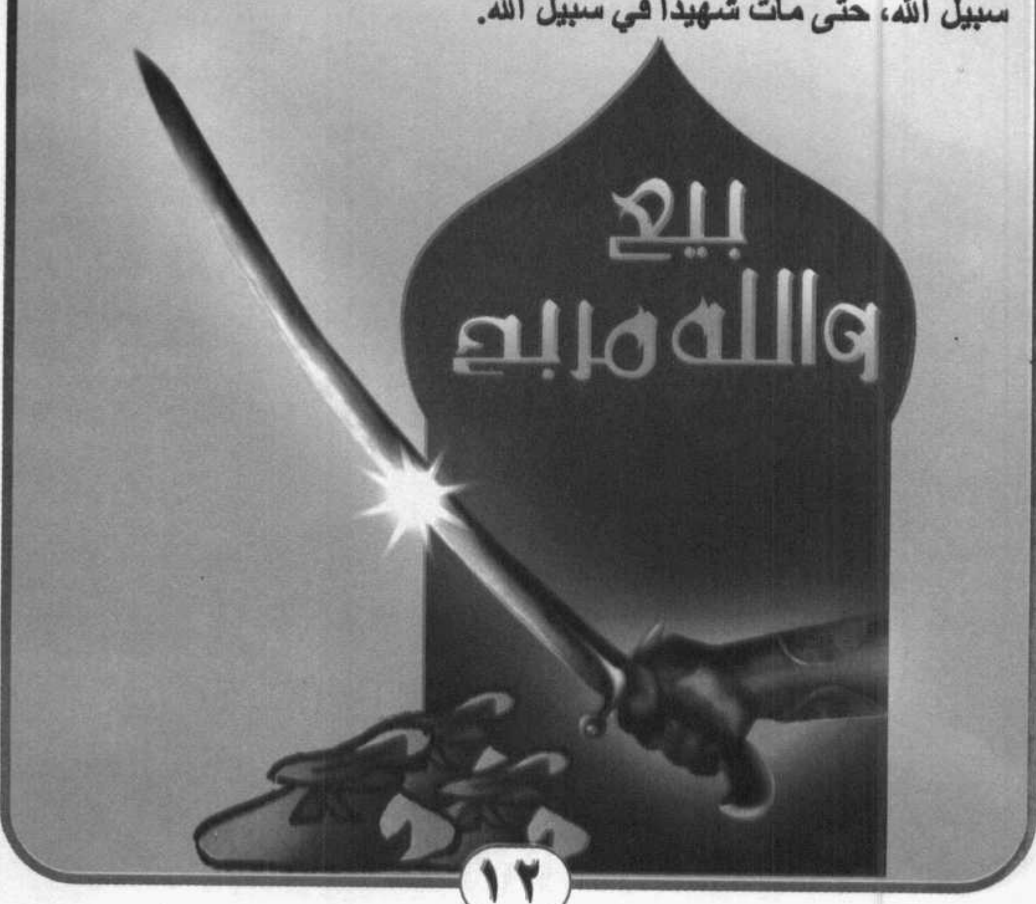


لما مات النبي ﷺ بكاه المسلمون بكاءً شديدًا، وبعد ثلاثة أيام من دفن الرسول ﷺ، قدِم رجل من الأعراب، يبكي بكاءً شديدًا، فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ؛ وأخذ يُحدِّث الرسول ﷺ في قبره، ويقول له: قلت يا رسول الله، فسمعنا قولك، ووعيت عن الله، فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك [ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول]، وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي، عسى الله أن يغفر لي.

وكان الصحابة شهود، ومعهم علي- رضي الله عنه- ، فتعجبوا من فعله، وتأثروا من حبٍّ هذا الأعرابي للرسول ﷺ، وإحساسه بفقد النبي ﷺ.



مرّ أعرابي على رسول الله ﷺ، فوجد النبي ﷺ يقرأ القرآن، والصحابة- رضوان الله عليهم- يستمعون في خشوع. وكان النبي ﷺ يقرأ قوله تعالى: [إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم]. فقال الأعرابي: كلام مَنْ هذا؟ فقال له النبي ﷺ: "كلام الله". فقال الأعرابي: بيعٌ والله مربح، النفس والمال من الله، والله هو الذي يشتري ما أعطانا بالجنة، وهي من عنده. فخرج الأعرابي إلى الجهاد في سبيل الله، حتى مات شهيدًا في سبيل الله.



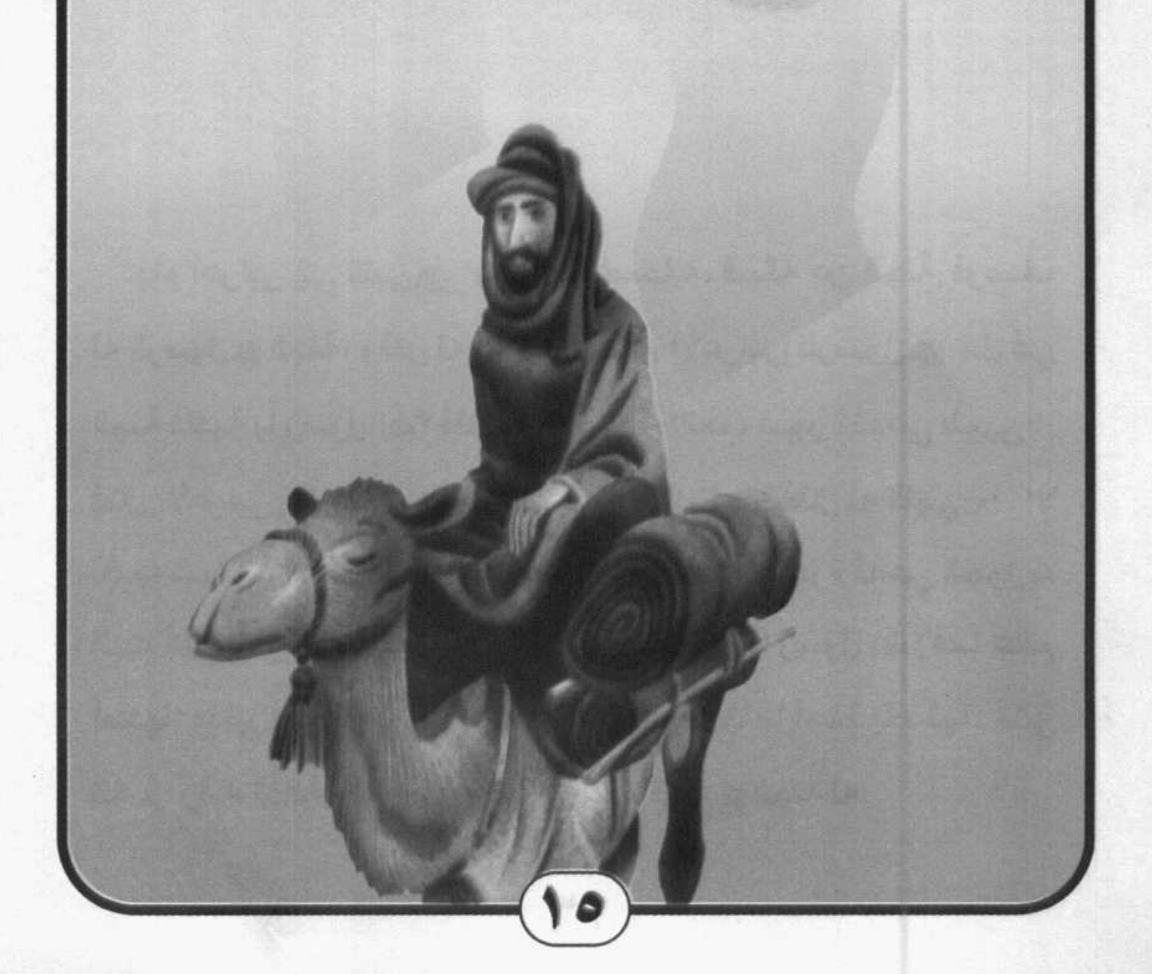
كان الأعراب يحبون سماع الرسولﷺ، وهو يتحدث عن الجنـة. وذات يوم، جلس الرسول ﷺ يحدث أصحابه عن الجنة، وما فيها من نعيم عظيم، من الفاكهة، والطعام، والشراب اللذيذ، وراحة البال، وغير ذلك من نعيم الجنة. وكان من بين الجالسين، أعرابي يحب الغناء، فقام الأعرابي، وقال: يا رسول الله، هل في الجنة من غناء؟ أجابه الرسولﷺ: "نعم"، وأخبره ﷺ، أن في الجنة نهرًا، حافتاه من نساء الجنة، من الحور العين، وجوههن حِسَان، يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة، ففرح الأعرابي، وفرح معه الصحابة رضوان الله عليهم.



كان من الأعراب، رجل يحب الخيل والإبل، وكان كثير التفكير فيها، وفي يوم من الأيام، ذهب الأعرابي إلى النبيﷺ وقال: يا رسول الله، إني أحب الخيل، فهل في الجنة خيل؟ فقال له النبيﷺ: "إن يدخلك الجنة، إن شاء، فلا تشاء أن تركب فرسًا من ياقوتة حمراء، تطير بك في أي الجنة شئت، إلا فعلت". فقال الأعرابي: يا رسول الله، إني أحب الإبل، فهل في الجنة إبل؟ فقال له النبيﷺ: "يا أعرابي، إن يدخلك الله الجنة، إن شاء الله، ففيها ما اشتهت نفسك، ولذت عيناك". ففرح الأعرابي أنه سيكون في الجنة خيل وإبل، وكل ما تحبه نفسه.



صلّى رجل من الأعراب مع النبي في المسجد، فلمّا انتهى الأعرابي من الصلاة، خرج، ثم ركب ناقته، ثم دعا بصوت عال، وقال: اللهم ارحمني ومحمّدًا، ولا تشرك في رحمتنا أحدًا. فلما سمعه رسول اللّه ﷺ قال لأصحابه: "أتقولون هذا أضلّ أم بعيره؟! ألم تسمعوا ما قال؟" قالوا: بلى. فناداه، وقال له، أمام الصحابة: "لقد حظرت رحمة واسعة"، ثم أخبره ﷺ أن اللّه عزّ وجلّ خلق مائة رحمة، فأنزل في الدنيا رحمة واحدة، يتعاطف بها الخلق، من الإنس والجن والبهائم، وادّخر عنده تسعًا وتسعين رحمة، يرحم الله بها الناس يوم القيامة".





جاء أعرابي إلى النبيﷺ، وكان مع أصحابه، فسأله عن الجنة. فوصف له الرسولﷺ الجنة، وذكر له الحوض. فقال الأعرابي للرسولﷺ: هل في الجنة فاكهة يا رسول الله؟ فقال له النبيﷺ: "نعم، شجرة تُدعى طوبى". فقال الأعرابي: يا رسول الله! أي شجر أرضنا تشبه؟ فقال له النبي ﷺ: "لا تشبه شيئًا من شجر أرضك. أأتيت الشام؟ هناك شجرة تُدعي الجوزة، تنبت على ساق، ويفترش أعلاها". قال الأعرابي: يا رسول الله! فما عظم أصلها! فأخبرهﷺ، أنه لو رحل على ناقة يسير بها، ما أحاط بأصلها، حتى تنكسر رقبة الناقة. ففرح الأعرابي بوصف النبيﷺ الجنة له.